توطئة

امام هذا المعترك الفظيع الهائل وقد التهمت نيرانُه القارّات الخمس فهدرت دماءُ الملايين وضاعت الاموال لا تحصى وعمّ الخرابُ وضاقت اسبابُ المعيشة حتى كادت تفنى الناس جوعاً وفاقةً تقف الشعوبُ تتسائل : وما نتيجة تلك الضحايا وحتى مَ تهزُّ هذه الحربُ أعصابَ العالم من ادناه الى اقصاه . فيجيبها « رسول العدل » بلسان الملايين من جنودٍ أباسل افناهمُ الحديدُ والنار : « لا ترتاح تلك الرفاتُ في أجداثها الا اذا كان في تضحيتها ضمان المستقبل للاولاد والاحفاد فلا يروّعوا بمثل هذه الحرب الطاحنة بل تُقطع اسبابها من جذوعها البعيدة : واساس هذه الحرب شعلة اضطرمت في البلقان حيث شعوب صغيرة أُرغمت على امرها » فاندلع لهيبها الى اوربا ولفح القارّة

الافريقية فاوسيانيا فاسيا فاميريكا . انما تهدأ نفوس اولئك الشهداء في مواطنها الابدية اذا طلعت من ظلام قبورها شمسُ العدل تبدّد ليلَ الظلم فيسود الحق على القوّة ويتمتع الابناء بالسلام الى اجيالٍ طوال . . .

" "

على الشاطيء الشرقي من البحر المتوسط يمتدّ بلدٌ صغيرٌ بعددهِ كبيرٌ بقومهِ فخورٌ بمجده ورث عن الفينيقيين حبّ الحرية وبعدَ الهمة ومضاءَ العزيمة وامتنع في قمم جبالهِ فلم يُستعبد لغازٍ ولم يذلّ لفاتح حتى اصبح مجدُهُ مضربَ امثال فانشدهُ الكتابُ وتغنى بهِ سليمان.

عنيتُ لبنانَ وهو الجبلُ الشامخ المدلُّ بهيبتهِ وجلالهِ على فلسطين وحلب والشام .

لقد تقلب الدهرُ على لبنان بحدثانهِ : فعاصر «لبنانُ الفينيقي» ممالكَ اشور والفرس واليونان واتى بعدهم «الرومان» فرأى لبنانُ ابناءَهُ يتبوؤن عرشَ روما . واكتسحَ «العربُ» سوريا فردّ لبنانُ تيارَهم عنه وظلّ على

تمنعه حتى « الصليبيين » فخالفهم. ولم يوهن عزيمته جلاؤهم عن سوريا بل ظل بعدهم محتفظاً بامتيازاته في وجه «الاتراك» مدة حكمهم وعليه امراؤه الوطنيون من « المعنيين » الى « الشهابيين » الى عهد « القائم مقاميتين » . ثم جاءت « معاهدة سنة الستين » فاثبتت امتيازاته القديمة واقام عليها حتى اليوم .

ان غزاة سوريا من عرب واتراك لم ينظروا يوماً الى امتيازات لبنان بعين الرضى وكان همهم الاقصى من قديم الزمان ان يلحقوه بولايات سوريا في حين كان اللبنانيون متشبثين بحريتهم وامتيازاتهم حتى الموت ، يزيد تعلقهم بها سعيُ حكام سوريا الى انتزاعها منهم وادغامهم في الولايات . فنتجت من ثمّ على ممرّ الاجيال ، بين سوريا ولبنان ، مشادّة مستمرّة ومنازعة دامية حتى جُبلَ تراب الجبل بدماء ابنائه مهرقةً في سبيل الحرية والاستقلال . ولا يزال صدى حوادث سنة ١٨٦٠ يرنّ رائعاً مؤلماً في الآذان .

وقد أكبرت اوربا تفاني اللبنانيين في سبيل استقلالهم

فقرّت التدخل في شؤونه ووضع امتيازاته في ضمانتها حسما لتلك المغالبة الدامية التي بلغت على عهد تركيا مالم تبلغه من قبل هولاً وفظاعة . فكانت من ثم معاهدة سنة ١٨٦١ وهي قد ادخلت لبنان في القانون الدولي العام وجعلت امتيازاته في حرمة المعاهدات الدولية .

فحسب اللبنانيون منذ ذاك الحين ان استقلالهم بات في مأمن من عبث العابثين فاستسلموا الى حماية الدول ولم يعدّوا عدّتهم ، شأنهم في الماضي من الزمان ، ليوم يضطرون فيه الى الدفاع بنفسهم عن حريتهم وتراث اجدادهم

لذلك لم يستطيعوا دفع اذى حين باغتتهم هذه الحرب الطاحنة وهم في جبالهم آمنون .

فأغتنمت تركيا الفرصة السانحة : يزيد جرأتها استضعافها اللبنانيين وهم قد استسلموا لحماية الدول ، ويُغري صدرها عليهم ميلهم المعروف الى الحلفاء . فعاملتهم معاملة الاعداء توصلاً الى افنائهم وهدم صرح استقلالهم فأذاقتهم ويلات الحرب ولا حرب في بلادهم فنالوا من بلاياها ، جوعاً وبرداً

ومرضاً وفاقة ، قسطاً لا تحسدهم عليه اشقى الأمم :

فلم يقتل اللبنانيون تحت قساطل الهيجاء بين هزيع الاناشيد وهزيم المدافع وصهيل الخيول وصلصلة الحراب وصليل السيوف ، وفي الموت على هذا الشكل ما فيه من نشوةٍ وفخار ، بل اهلكوا برداً وجوعاً ومرضاً بين ظلام الفقر الدائم وسكون القبور الهائل .. بادوا وهم يتطلعون الى البحر يرقبون مغيثاً لا يأتي او كسرةً ترد رمقهم فلا ينالونها ، والموت يمشي اليهم هادئاً فظيعاً قاسياً لا يرحم ... وقد مرّت بهم اربع سنوات على هذه الحال حتى لقي نصفُ سكان لبنان تلك الميتة الخاملة بلا عز ولا فخر وهو افظع شكل يتصورّهُ الانسان في ابادة شعبٍ واهلاك امة . فضلاً عمن ابادوا من رجالهِ واكليروسه وشبانهِ نفياً وشنقاً وتعذيباً.. أمةٌ بأسرها ذهبت ضحية نزوعها الى الاستقلال وشهيدة ميولها الى الحلفاء عموماً والى فرنسا خصوصاً فبات للبنان على تلك الدول الكريمة حق جديد هي اجلُّ من ان تتبرأ منه يوم الحساب

فان أهمل امر لبنان ، وحاشا لدول العدل اهماله ،

ولم تقرّر معاهدةُ الصلح استقلاله فهو عائدٌ حتماً الى تلك الرواية المفجعة التي مثلَ فصولها على ممرّ الاجيال

ان الشعب الحيَّ الذي اعتاد الاستقلال ودفع للاحتفاظ به على ممرّ العصور ثمناً من دماء ابنائهِ غالياً فاحشاً ، قد يرغم على أمرهِ حيناً من الدهر كما أُرغمت بولونيا وارمينيا ، لكنهُ لا يموت

فلئن غلب لبنان على امرهِ لضعفهِ اليومَ او لغفلته فقد يأتي زمنٌ يرجع فيه لبنانُ الى نفسه وينشط الى استقلاله فيكون في الشرق ما كانت البلقان في الغرب : وفي حوادث هذه الحرب واسبابها عبرةٌ للمعتبرين

***

اذا طالب لبنان بحريته واستقلاله فهو يطالب بحق مقدس لا بحسنةٍ يستجديها او بمنكر يواخذ عليه .

وفوق ذلك فلبنان يستند في ما يطلبه الى تاريخ قديم مجيد يشهد ان لبنان كان حائزاً على استقلاله يومَ لم يكن

لاكثر دول اليوم وجودٌ في عالم الامم المستقلة . بل يستند الى حق أعلى واسمى ، تموت اليوم في سبيل تأييده الملايين ، الا وهو حقُّ المعاهدات واحترامها :

فلبنان ذو معاهدة دولية كفلتْ له استقلاله القديم تدرجاً الى الاستقلال المطلق : غايةِ كل حيٍّ ومنتهى آمال كل شعب .

تلك حقيقةٌ عن تاريخ لبنان ومركزه الدولي يجهلها الكثيرون ويعتقدون أنه لا فرق بين لبنان وبين الولايات السورية ، وانه مهما نال بعد الحرب من الاصلاح كان كثيراً عليه بالنسبة لمركزه قبل الحرب لا سيما والاستقلال ، على ما يدعون ، لا يكون طفرةً في الشعوب بل له نواميس لا يتعداها

ففي هذا البحث بيان موجز عن تاريخ لبنان السياسي وعن مركزه في قانون الدول العام

قضية عادلة تُعرض للعالم المتمدن دفاعاً عن حقوق لبنان يومَ تُزان حقوق الامم فينال حقَّهُ من الاستقلال كما

نال قسطه من المصائب فترتاح نفوس شهدائه اذا شعروا انهم ذهبوا ضحيةً غالية في سبيل ذلك الاستقلال الغالي. بل يطمئنون في مراقدهم الابدية اذا طلعت منها شمسُ الحرية تتلألأ في ثلوج صنين تُنعش النفوسَ وتحيي ميتَ الآمال، ويترامى الى بلاد المهجر صدى صوتٍ صارخٍ من لبنان يدعو ابناءَه اليه فيعود الى ربوعه من هجره من أيدٍ عاملة وادمغة مفكرة فيجدّد نسر الارز شبابه ويكون لبنان منارة وضاءة ترسل العلومَ والمعارفَ نوراً وهدى في سماء الشرق الأدنى.

الاسكندرية في دسمبر سنة ١٩١٧